أين كنا وأين صرنا ؟

للأستاذ نقولا الحـــداد

كنا قبل عصر برنادوت لا نقبل دولة إسرائيل المزعومة ولا حديث لنا إلا عروبة فلسطين فإذا بنا الآن لا حديث لنا إلا الهدنة . وكل يوم نذهب إلى مجلس الأمن باكين ناحبين صارخين: « اليهود خرقوا الهدنة » . نسينا مشروع التقسيم ونسيه اليهود أيضاً . نحن رضينا بالهدنة الدائمة ، واليهود لم يرضوا بالهدنة المؤقتة . الهدنة علينا لا عليهم . الهدنة لهم لا لنا .

لنا وفود سبع دول رسمية في مجلس الأمن وليس لليهود وفد واحد رسمي ، لأن دولة إسرائيل لا تزال مزعومة ، وقد نسينا مشروع التقسيم الذي كنا نجحده ونرفضه رفضاً باتاً وأصبح همنا الآن هل نقبل مشروع برنادوت أو نقبل هدنة بونش الأبدية التي تسمى صلحاً .

إن مصيبتنا هذه جاءت أولا وآخراً من الإنجليز — فتباً لها من دولة فاسقة مارقة .

كان جيشنا المصري على أهبة أن يحتل تل أبيب ؛ وإذا اليهود يستغيثون لأنهم أصبحوا على شفا الهلاك ، فأنجدهم مجلس الأمن بأن اقترح هدنة ٣٦ ساعة ، وإذا المندوب الإنجليزي كادوجان يقول لا ٣٦ ساعة لا مادا تنفع؟ يجب أن تكون الهدنة ٤ أسابيع . وإذا بها صارت أسابيع ، لأن إنجلترا تهددت بأنه إذا كان العرب لا يقبلونها فيحرمون السلاح فقبلوها ولا سلاح واليهود لم يقبلوها وهم يخرقونها كل يوم وهم طلبوها لكي يقبلها العرب ويخرقوها هم . وهكذا كان .

وانتهت الأربعة أسابيع ولكن اليهود لم يبلغوا كل مأربهم فالتمسوا تجديدها فجددها لهم برنادوت هدنة دائمة . ففعلوا فيها ما شاؤوا لمصلحتهم حتى إنهم قتلوا برنادوت لأنه ارتأى أن يكون النقب للعرب وهم لا يريدون أن يبقى شيء للعرب حتى ولا بقعة الرمل هذه .

في الهدنتين جاءتهم الأسلحة من كل ناحية حتى صاروا في مأمن والعرب صابرون ويقولون لا نقبل إلا عروبة فلسطين ودولة فلسطين العمومية ولا دولة لإسرائيل . وبنو إسرائيل يصادقون على هذا القول بالقول . ولكنهم بالفعل هم على غير هذا القول . والإنجليز يقولون لنا : لا بأس ، اقبلوا هذه الهدنة الدائمة واعتبروها صلحاً ، ولكن لا توقعوا على شروط صلح .

انظر هذه البراعة البريطانية . اقبلوا الهدنة كما هي وخلوا جيوشكم في أماكنها ولا تتقدموا . يوم كان اليهود ينهبون سلاح الألمان وغير الألمان بعد معركة العلمين ويرسلونه تحت ذقوننا إلى فلسطين كنا نقول للإنجليز إن هؤلاء اليهود اللئام ينهبون السلاح من معسكراتكم وأنتم غاضون الطرف . لماذا ؟ أليس لكي يحاربوننا به ؟

ولكن الإنجليز كانوا يرمون إلى هذا بدليل أنهم إذا أمسكوا عربياً معه بندقية شنقوه ، وأما يهودي يسوق مركبة مصفحة ملأى بالسلاح فيقولون له باسمين مبروك .

والآن يستورد اليهود السلاح من كل مكان رغم أنف مجلس الأمن ، وإذا استورد العرب سلاحاً من أي مكان حال الإنجليز وغير الإنجليز دونهم .

إذا قلت لكم أيها العرب أن العالم كله يحاربكم ، فهل ظننتموني مهوّلا ؟ ها قد وصلنا لها .

أيها العرب عيب أن تفوحوا وتفحبوا لمجلس الأمن . وعيب أن تتذمروا من دول أوربا لأنها تعنمكم أن تتسلحوا ، وأن تتغيظوا من دول أوربا لأنها مستبدة بكم ولأنها غير منصفة لكم .

نعم دول أوربا وأمريكا غير منصفة ، ولا يمكن أن تكون منصفة ، لأن الإنصاف ليس من مصلحتها . تقولون أنها لا تخجل أن تكون جائرة . نعم لا تخجل ولا تستحي ولا يهمها أن تعيروها بقلة الحياء . كان يجب أن تعلموا هذا الدرس ؛ وأن تضحوا بكل شيء في سبيل مصلحتكم لأنكم في وسط هذه أخلاقه ... نعم العالم كله ضدكم لأنكم أكلة دسمة سهل طبخها .

المتسلحون بالحق والمنطق على بُعد من الفائدة ينظرون بالأعين الحسيرى إلى مالهم المنهوب وتراثهم المغصوب ، ولا يملكون إلا أن يحتجوا راغمين ، ثم يقولوا نادمين : يا ويلتنا ! ما السيف الحق لا يقطع ، وما البرهان المنطق لا يفيد ؟ !

يا قوم ، لقد قلنا لكم : إن القوة هي الحق وما سواها باطل ؛ وإن ابن آدم على الرغم من دينه وعلمه ومدنيته لا يزال عبد العصا وضيعة الدينار . فمن شاء أن يعيش مرهوب الجانب محفوظ الحق فليدع سماحة موسى وبلاغة هارون ، وليتخذ قوة شمشون وغنى قارون !

إحسان الزيات